

تفسير أبي السعود

123124 - آل عمران .

الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله ﷺ وكانوا ألف رجل وقيل تسعمائة وخمسين وعدهم رسول الله ﷺ الفتح أن صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة آلاف انخذل عبد الله ﷺ بن أبي بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله ﷺ في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله ﷺ لو نعلم قتالا لأتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله ﷺ فعصمهم الله ﷺ تعالى فمضوا مع رسول الله ﷺ وعن ابن عباس Bهما أضمروا أن يرجعوا فعزم الله ﷺ لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس قلما تخلو النفس عنه عند الشدائد .

والله ﷺ وليهما أي عاصمهما عن إتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز أن تكون حالا من فاعل همت أو من ضميره في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلها أو همتها به مع كونها في ولاية الله ﷺ تعالى وقرئ والله ﷺ وليهم كما في قوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا . وعلى الله ﷺ وحده دون ما عداه مطلقا استقلالاً أو اشتراكاً .

فليتوكل المؤمنون في جميع أمورهم فإنه حسبهم وإطهار الأسم الجليل للتبرك والتعليل فإن الألوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا أوليا وفيه إشعار بأن وصف الإيمان من دواعي التوكل وموجباته .

ولقد نصركم الله ﷺ ببدر جملة مستأنفة سيقت لإيجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضر وقيل لإيجاب التوكل على الله ﷺ تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر إسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل إسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع أو الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

وأنتم أذلة حال من مفعول نصركم وأذلة جمع ذليل وإنما جمع جمع قلة للإيذان بإتصافهم حينئذ بوصفي القلة والذلة إذ كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يتعقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر إلا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وتسعون بغيرا وست ادرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء ألف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة .

فاتقوا الله ﷺ اقتصر على الأمر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للإشعار بإصالته وكون الصبر من مبادئه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الأمر

بالتقوى على الإخبار بالنصر إيدان بأن نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم أي إذا كان الأمر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ .

لعلكم تشكرون أي راجين أن تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصر كما شكرتم فيما قبل أو لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الإنعام .

إذ تقول تلوين للخطاب بتخصيمه رسول الله ﷺ لتشريفه والإيدان بأن وقوع النصر كان ببشارته عليه السلام وإذ ظرف لنصركم قدم عليه الأمر